الصلاة

للشاعر لامرتين

ان ملكة النهار المنيرة ، الغاربة في مجدها وعلائها ، تتحدر بتمهل من محفة غلالتها ، والسحاب الزاهي الذي يحجبها عن انظارنا ، يحفظ آثارها في السماء اخاديد ذهبية ، وقد عمر الفضاء بانعكاس أرجوانها خلاب

والقمر المتخطر في حواشي الأفق ، اشبه بقنديل من عسجد معلق في السماء ، وقد غطا ضوءه السقيم على العشب ، وانتشر سدل الليل على الآكام والاودية ، فدنت الساعة التي ترتفع فيها ، الى قاطر الليل والنهار ، الطبيعة المسترسلة الى السكون والتأمل ، في النشرة التي ما بين الليل المقبل والنهار المدبر ، كأنها تقدم الى العلي ، في لغتها البهية ، احترام الخليقة واجلالها

ها هي الضحية العظيمة الشاملة : فالكون هو المعبد ، والارض هي الهيكل والسماء القبة ، والنجوم التي لاعداد لها ، تلك النيران المتلفعة ، حلية الظلام الشاحبة ، المتنزة بترتيب واتساق في القبة الزرقاء ، هي المشاعل المقدسة الموقودة لهذا المعبد

وتلك السحب الصافية ، التي يلونها النهار المائت ، والتي تدفعها في سهول الهواء نسمة خفيفة ، منذ تخييم الغسق الى زر الشفق ، والتي تدور كتلا ترمزية في جوانب الأفق ، هي لجج البخور المتبخرة الصاعدة نحو عرش الله ، الذي تبدو الطبيعة جمعاء

ولكن هذا المعبد ليس له صوت يجبر بالدعاء ، فاين الموسيقى المقدسة ؟ ومن اين ترتفع التسابيح الى ملك الكون ؟ فكل شيء ساكت صامت ، وقلبي وحده الذي يتكلم في هذا الهدوء الشامل ، فصوت العالم هو ادراكي ، فارفعه الى الله

على اتساعة المساء ، واجنحة الهواء ، كأنه عِطْرٌ حيٌّ ، يُكسب الخليقة كلها ، لساناً للشكر ، وياناً للحمد ، ويُصير روحي الى الطبيعة لتعبد الخالق ، وتقدّس له

وانا وحدي هنا ، املأ الفضاء باسمه الازلي ، متوسلاً اليه ليُلقي عليَّ نظرة عطف من نظراته الابوية

وذلك الذي من اعماق مجده الازلي ، يُصغي الى نشيد العالم المُسَبِّح باسمه ، يسمع ايضاً صوت عقلي الوضيع ، الذي يتأمل عظمتهُ وجلاله ، ويتمم باسمه صباح مساء

سلاماً بامبدأ ونهاية كل شيء ، حتى نفسك السرمدية ، انت الذي بنظرة واحدة ، تُكسب اللانهاية الخِصْب والنماء ، يا روح الكون ، ايها الاله ، ايها الاب ، ايها الخالق اني لأؤمن بك تحت كل هذه الاسماء والنعوت ، واقرأ في جبهة السماء قانون ايماني المجيد دون ان اجد حاجة لسماع كلمتك المُسَجَّلة ، فالفضاء يُبدي لعيني عَظَمتك ، والارض تُوحي اليَّ صلاحك ، والكواكب تُظهر لي عزتك وجلالك ، فلقد انشأتَ نفسك في صَنْع يديك البديع الكامل ، فالكون قاطبة يَعكس صورتك ، وروحي بدَوْرها تعكس الكون باسره ، وفكري الذي يسع خصائصك العديدة ، يكتشفك في كل ما حولك ، ويَخُرُّ لك ساجداً ، واذا ما ادام النظر الى نفسه ألْفاك فيها ، فهكذا يَشرق كوكب النهار في الآفاق ، فينعكس نوره على صفحات الماء ، ثم يبدو مرتسماً في عينيَّ

انهُ لقليل ان يمتشقدُ بك ، يا ذا الصلاح والبهاء المتناهي ، واني لأبحث عنك في كل مكان وأتشوق اليك واحبك ، فروحي شعاع من النور ، وطيب من الوجد ، قد انفصل ليوم واحد من مَوْقِيده الالهي ، وهو يتَّقِد رُغبةً ويحترق جَوًى ، ليعود الى منبعه المضطرم . فاني استشق واشعر وافكّر واحب ، دون ان اخرج عن دائرتك ، فكل ما يبدو مني مبدأه منك ومرجعهُ اليك ، وهذه العوالم التي تُخفيك عن نظري ، هي شفافة امام بصيرتي ، ترقُّ حتى ارى ما تَبْطُنهُ ، فأنت الذي ابصره في جوف الطبيعة ، وأنت الذي اباركهُ في كل خليقة ، وكلما رُمتُ الاقتراب

منك يمت هذه الفلوات ، فها اذا ما نفض الفجر ستره في الهواء ، شاقًّا الأُفُقَ الذي يلوّنه النهارُ الناشيء ، وناثراً على الجبال لآلىء السَّحَر ، بدا لي ان بصرك من مقرك العلوي ، هو الذي يُشرف على الكون،ويُفيض عليه الضياء والبهاء.

واذا ما كوكب النهار ، توقف عن سيره ، وغمرني بالحرارة والحياة والنور ، اشعر ايها الاله القدير ، ان هذه الاشعة القوية ، التي تُنعش حواسي ، هي قوتك ونسمتك. وعند ما يُرشد اليّ مَوكِب النجوم ، ملقياً أسْداله المُعْتِمة على العالم الفاني ، اقف وحيداً في قلب البيداء ، يحوطني الظلام ، متأملاً في عظمة الليل الهادئة اللطيفة ، وقد تسربلتُ بالهدوء والسكون والظلال الداكنة ، فتصد نفسي عن كَسْب ، وجودك السامي ، وأنا مستشعر بهار داخلي يُثير حواسي ، وسامع صوتاً يهتف بي ان أعْمَلَ

نعم . اني آمل ايها المولى ، وأثق بعظمتك وجَبَروتك ، ففي كل مكان ، تجود يداك بالحياة ، وفي كل موضع ، اراك تُبقي وتُحيي ، لأن مَن في قدرته الخَلْق والتكوين ، يحتقر التخريب والتدمير ، فأنا الشاهد بقوتك ، الواثق من محبتك ، انتظر يوم الازلية الذي لا انتهاء له

فمَيْتاً يُحيطني الموتُ بأشباحه السوداء المحزنة . فعقلي يرى النور من خلال هذه الظُلُمات، لأن انقضاء الأجل ، هو الدرجة الأخيرة التي تقرّبني منك ، هو الستار الذي يَسقط بين وجهك الكريم وبيني ، فعجّلْ لي يا الهي ، بهذه البُرْهة التي اتمناها، واذا شاءت ارادتك تأخيرها ، فاستجب من اعلى السماوات ، صوت عَوَزي واحتياجي ، فالذرّة مع حقارتها ، هي موضع عنايتك ، مثل الكون على سعته . فمُدّ جسمي بالقوت، ونفسي بالأمل ، وادفئ بنظرة من عينيك القديرتين نفسي التي كسفها ظلالُ حواسي الجسدية ، وكما تَستَنشيي الشمسُ ندى الصباح إستَرِقْ في احضانك فكري وعقلي وادراكي ، لتحظى نفسي بمن طالما اشتاقت له ونَزَعَتْ اليه

القاهرة جورجي نيقولاوس